

أساطير وحكايات

# معروف وشقيقه متلوف

دار القلم
بيروت - لبنان

أساطير وحكايات

# معروف وشقيقه متلوف

تأليف : محمد عبد الحميد الطرزي



دار القلم
بيروت - لبنان

جلس معروف الحمال الفقير بين زوجته وأولاده حزيناً كاسف البال فقد ساد الكساد ولم يعد يكسب في يومه ما يكفي ثمناً للخبز الذي يشبع هذه الأفواه التي تطلب الطعام.

قال معروف بحزن لزوجته الصابرة:

- فردوس لقد ضاقت الدنيا في وجهي ولم أعد أعرف كيف أتصرف... سأذهب إلى أخي متلوف وأسأله المساعدة فربما حنّ الله قلبه وأعطاني بعض المال...

نظرت إليه بشك وحزن وقالت:

- أنت أعلم بشحه وتقتيره فأبق في مكانك ولا تعرض نفسك لمزيد من اذلال.

أجابها بأسى:

- من أجل هـؤلاء الأبرياء سأريق ماء وجهي وأذهب إليه... هاتي الطنجرة فلدي درهمين لأشتري بهما بعض الفول للأولاد.

وذهب معروف وطرق باب قصر شقيقه وطلب مقابلته فلم يدعه للدخول وتركه واقفاً خارج القصر ونزل إليه وبادره:

- نعم... ماذا تريد... ليس عندي مال لأعطيك... اذهب عني ولا تطرق بابي مرة أخرى...

عصف الألم بنفس معروف وقال:

- أنت أخي وقد يسرّ الله لك الأمور.. ساعدني من أجل أولادي الجياع وسأرد لك ما تعطيني عندما تنفرج الأزمة قريباً بإذن الله...

أجابه بجفاء وهو يصفق الباب في وجهه:

- اذهب عني ولا تدعني أرى وجهك مرة أخرى. . .

انصرف معروف مكسور الخاطر يغالب الدمع الذي تجمع في عينيه ورفع رأسه إلى السماء في دعاء صامت ثم واصل طريقه نحو بيته فإذا بزوجته وقد استبد بها الرعب فرجف قلبه. قالت له:

- معروف. . . اهرب فقد جاء جنود الوالي في طلبك.

سألها برعب:

- جنود الوالي يأتون في طلبي؟.. لماذا؟.. ماذا فعلت؟. . .



أجابته وهي تبكي:

- شكاك إليه صاحب الدار مطالباً بأجره..

قال بحزن:

- حتى أنت يا حاج بدوي أبعد كل ما بذلته من ترميم المنزل لأجعله منزلاً يصلح للسكن... ألم يتفق معي على اصلاحه وأخصم ما أنفقه من الايجار...

كانت تتلفت حولها بخوف وقالت:

- لا وقت للتحسر يا معروف... يجب أن تختفي وإلا أمسكوك وألقوا بك في السجن.

نظر إليها ودموعه تغرق وجهه:

- وماذا تفعلين بنفسك والأولاد..

أجابته على عجل:

- سأذهب بهم إلى بيت أبي ولن يطردنا فكن مطمئناً..

قال وهو يودعها:

- إذن الوداع يا فردوس... سأرحل والله يرعاكم ويرعاني...

سار معروفاً مسرعاً مبتعداً عن البلدة وكان البحر أمامه لا يحده البصر فقال لنفسه:

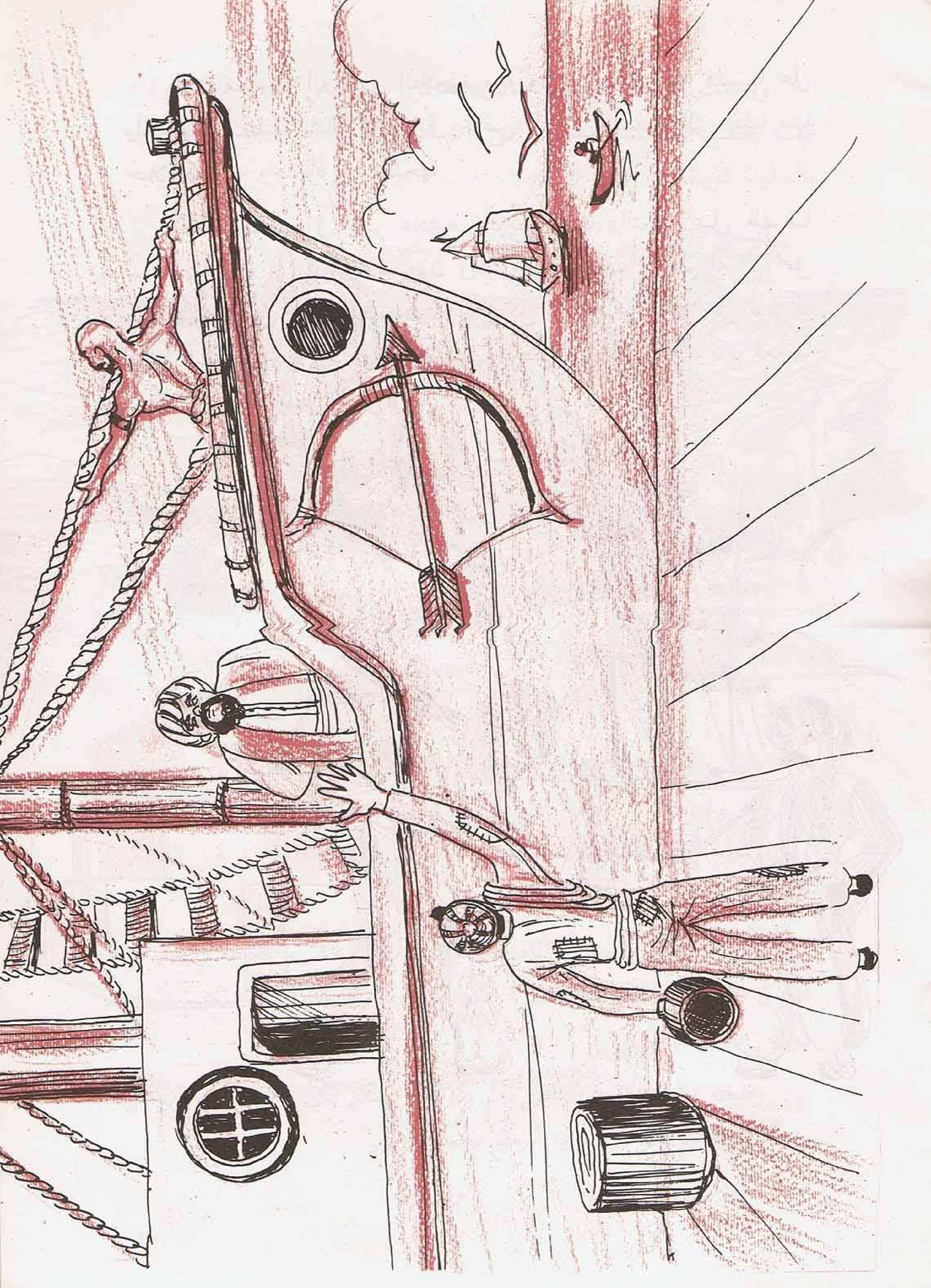
- لماذا لا أبحث عن مركب مسافر فأرحل معه سعياً وراء الرزق؟.

وتابع سيره إلى الميناء وشاهد مركباً يرخي قلوعه! استعداداً للرحيل فنادى على ربانها:

- يا ريس، خذني معك أعمل بقوتي في خدمتك...

كان المركب قد ابتعد خطوات عن اليابسة فقال له الريس:

- تعال إذن واسرع...



وجد معروف أنه نسي الطنجرة معه ولم يعطها لزوجته فلبسها على رأسه وتلفع عليها بشاله كالعمامة وخاض الماء إلى السفينة التي أدلوا منها حبلاً تعلق به وجذبوه إلى سطحها. . .

وسافر المركب في بحر هادىء والريح طيب والتجار على ظهرها سعداء ينزلون إلى الموانىء فيبيعون ويشترون ومعروف لا هم له إلا حمل متاعهم من وإلى السفينة فيجودون عليه كل بما تجود به نفسه حتى توفر له مبلغاً صغيراً أدخره وحرص عليه أشد الحرص حتى إذا ما عاد كان معه ما يدفعه لصاحب الدار الخائن. . .



ورحلت المركب من بحر هادىء ساكن حتى أمس المساء فإذا بالرياح تهب بعنف فتعالت الأمواج حتى أصبحت كالجبال وأخذت تتلاعب بالسفينة كريشة في مهب الريح.



وقف الريس يدعو الله السلامة والتجار يرتعدون خوفاً ورعباً لهول الأمواج وعتوها... وأمر الربان بجمع القلوع حتى تنحصر العاصفة ولكن جاء أمره متأخراً فقد قذفت الأمواج بالسفينة ناحية جبل من الصخر المرجاني فتحطمت وتناثرت أشلاءاً.

وجد معروف نفسه في الماء متعلقاً بلوح من الخشب طفا به ونجاه من الغرق والموت المؤكد مثله كمثل جميع ركاب المركب الذين ابتلعهم البحر دون رحمة أو شفقة.

وقذفته الأمواج نحو شاطىء لم يدرك أو يفكر لأي بلد هو ومكان كل ما يأمل فيه هو الوصول إليه لينجو بحياته...

وأخيراً لمست قدمه الأرض فأسرع بالخروج من البحر وأخذ يعدو كل قوته نحو غابة كبيرة رآها أمامه وهناك سقط إعياءاً وراح في ثبات عميق ولما استيقظ من نومه كانت العاصفة قد انحسرت والشمس ساطعة فلما تحسس ثيابه وجدها وقد جفت من حرارة الشمس فسار نحو الغابة باحثاً عن شيء يأكله فوجد من الفاكهة الشيء الكثير فأكل منها حتى شبع واتجه نحو غدير عذب الماء فروى عطشه وتوضأ وصلى شاكراً لله نجاته من محنته وترحم على أرواح رفاقه الذين ذهبوا في أعماق البحر إلى غير رجعة.

واستلقى في الشمس يفكر في أمره وما جرى له وقرر أن يسير في الغابة حتى يعثر على من يدله ويعرف منه في أي بلاد هو وكيف يعود إلى بلاده..

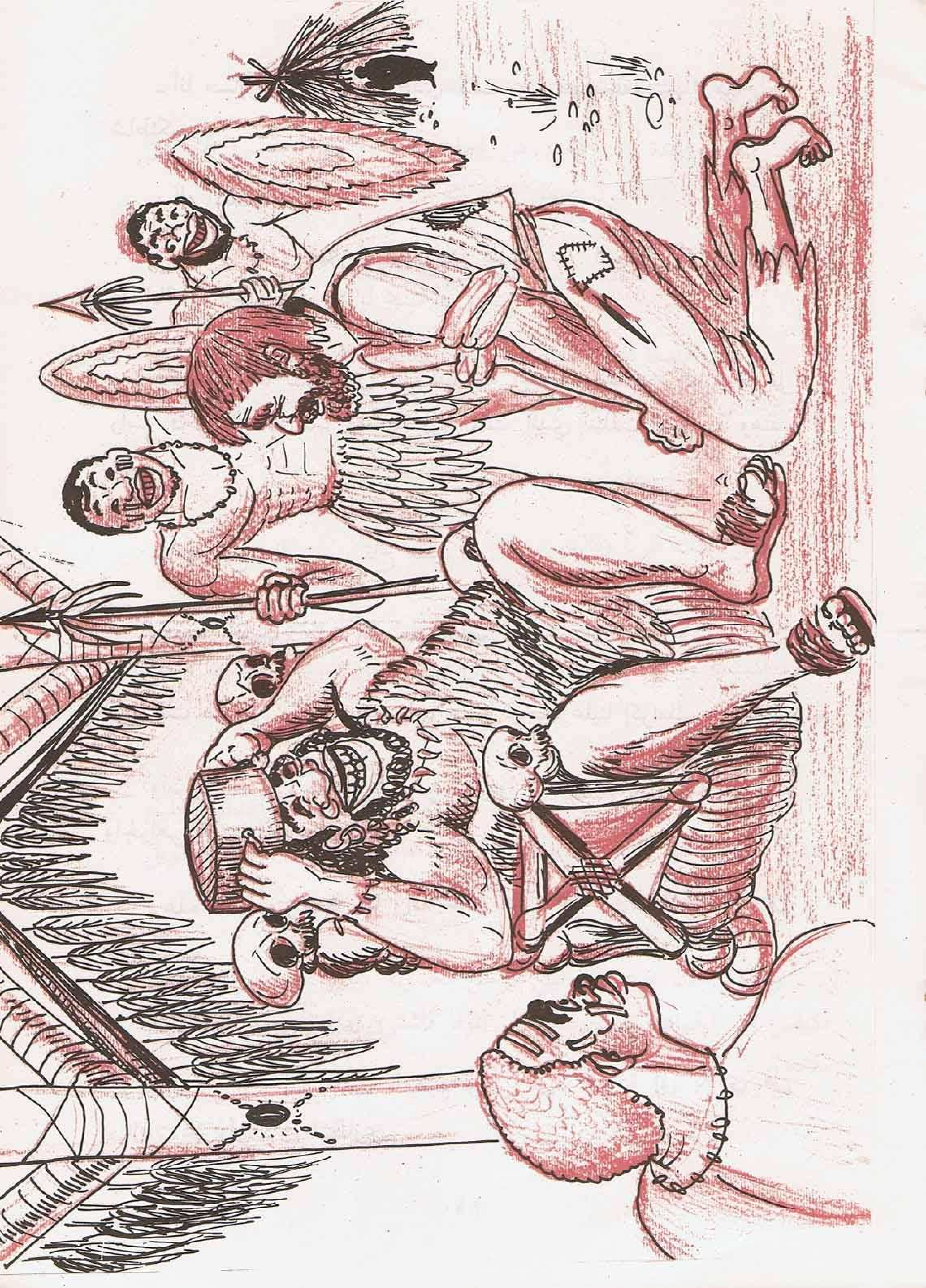
وبينما هو في تفكيره سمع صوت أقدام وخرج عليه من الغابة رجال سود يحملون الحراب والسيوف... كانوا نصف عراة وقد لطخت الأصباغ وجوههم فازدادت بشاعة...

هبّ من مكانه ليهرب ولكنهم لحقوا به وساقوه إلى مليكهم وكان ضخم الجثة هائل الحجم...

ما أن رأى معروف حتى هتف به يقول:

- من أنت يا هذا؟ وكيف وصلت إلى بلادنا البعيدة.

تلعثم معروف من شدة الخوف وقال:



ـ أنا مسافر غرق المركب الذي كنت على ظهره فقذفتني الأمواج إلى شاطئكم. . .

سأله الملك:

ـ مسافر على ظهر مركب إذن فأنت من التجار. . . أين إذن الهدايا؟. . تاجر بدون هدايا يجب أن يموت؟.

فكر معروف بسرعة في هذه المصيبة الجديدة وتحسس الطنجرة على رأسه فحل الشال عنها وقدمها إلى الملك الذي تهللت أساريره وهتف بفرح:

ـ هذا تاج عظيم. . . تاج عظيم. . .

ووضع الطنجرة على رأسه وهو يرقص طرباً وقال:

ـ أنت صديقي وقد أهديتني تاجاً عظيماً فيجب علينا إكرامك.

وأمر رجاله أمراً سريعاً فأسرعوا ليعودوا محملين بسلال ممتلئة بالذهب والجواهر وقدموها له وقال الملك:

ـ هذه هدية متواضعة منا وإن شئت البقاء بيننا زوجناك من عشرين عذراء. . .

أجابه معروف وهو ذاهل:

ـ الشكر لك أيها الملك العظيم ولكن أريد العودة إلى بلادي فلي هناك زوجة وأولاد في انتظاري. .

نظر إليه الملك بدهشة:

- زوجة واحدة... أتعود من أجل زوجة واحدة؟ سنزوجك من ثلاثين.. أربعين وستكون ضمن زوجاتك أربعة من بناتي.

أجابه معروف ليتخلص من هذه الورطة الجديدة:

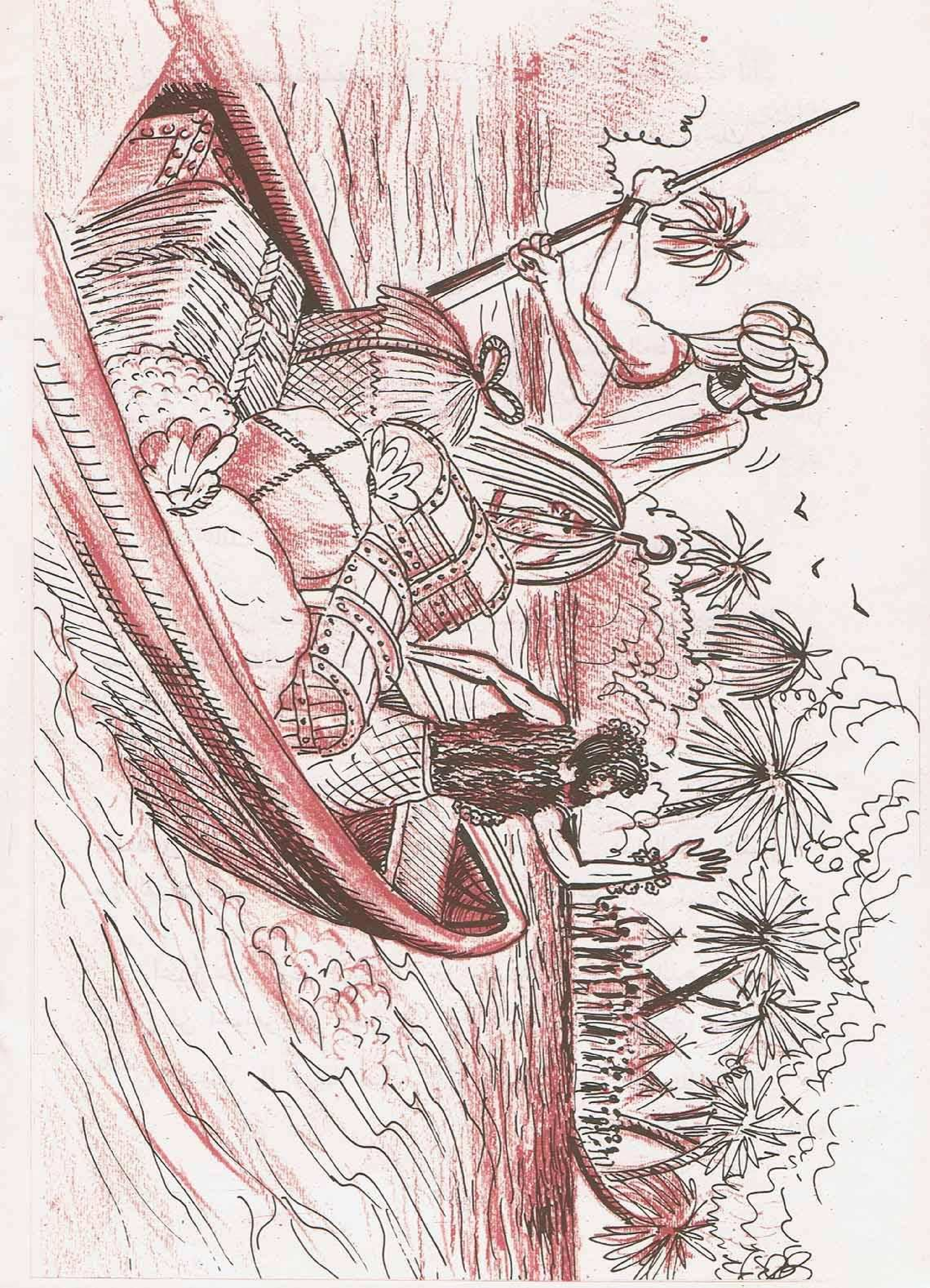
- سأفعل عندما أعود فلدي كثير من الهدايا للملك العظيم... أعود بها وبزوجتي لأعيش هنا بينكم وأتزوج من الأربعين وإن شئت زدناهم إلى خمسين.

صفق الملك طرباً وقال:

- إذن تقضي معنا فترة الضيافة حتى تسترد قوتك ويحملك رجالي إلى حدود المملكة وهناك تمر سفن كثيرة يأتي فيها التجار فتستقل إحداها وتعود إلى بلادك.

وأمضى معروف أياماً بين القوم الذين أكرموا وفادته وأغدقوا عليه اغداقاً وزودوه بالمزيد من الذهب والجواهر خاصة من هذا السطر الطويل من الفتيات الذي علم فيما بعد أنهن زوجاته المنتظرات...

وأخيراً حان موعد الرحيل فرحل بحمولة كبيرة من الذهب وبعدة أكياس من الجواهر حتى وصل إلى المرفأ فاشترى مركباً ورحل عائداً إلى بلاده...



كانت فردوس تجلس بين أطفالها النيام تبكي بحزن وتناجي ذكرى زوجها بصوت حزين وتقول:

ـ ترى أين أنت الآن يا معروف؟.

سمعت طرقات خفيفة على شباك النافذة فغادرت مكانها وفتحت الشباك فإذا بها وجهاً لوجه أمام معروف... هتفت بفرح:

ـ معروف...

وأسرعت ففتحت له الباب فدخل ليضمها إلى صدره بحنان... وقفت تتأمل ثيابه الفاخرة وقالت:

ـ معروف. ما هذه الثياب الثمينة التي ترتديها؟.. من أين جئت بها... احذر أن تكون قد انسقت وراء الشيطان وارتكبت ما يغضب الله..

أجابها ضاحكاً:

ـ حاشا الله أن ارتكب أمراً يغضبه لقد أكرمني ربي رزقاً حلالاً..

ومدّ يده في حزامه وأخرج كيساً ضخماً من الذهب وقال:

ـ خذي هذا لوالدك العزيز ودعينا نذهب إلى قصرنا..

هتفت مشدوهة:

ـ قصرنا؟ هل أصبح لنا قصراً..

أجابها وهو يوقظ الأولاد:

ـ هيا يا فردوس..

وصحبها وأولاده إلى القصر العظيم الذي اشتراه وكدس فيه أمواله وذوده بالخدم والعبيد... وبعد أن استحمت وحممت الأولاد وارتدوا الملابس الفاخرة التي أعدها لهم.. قالت فردوس:

ـ الآن قص عليّ قصتك...



جلس وقصى عليها القصة من البداية حتى النهاية وهي تصغي إليه ودموع الفرح تتساقط من عينيها وقالت:

ـ الحمد لله:.. يكفي أنك عدت إلينا سليماً معافى..

* * *

إنتشر خبر عودة معروف وشراء القصر انتشار النار في الهشيم وبلغت مسامع شقيقه متلوف الذي لم يصدق ما سمع وخرج ليتأكد من الأمر بنفسه فسار حتى بلغ قصر معروف ودخل عليه فأكرم وفادته ورحب به ترحيباً كبيراً وأمر بالمائدة وتناول معه طعاماً لا يقدم إلا من قصر السلطان فأكل الحقد قلب متلوف وسأله:

ـ ومن أين جئت بكل هذا يا معروف؟.

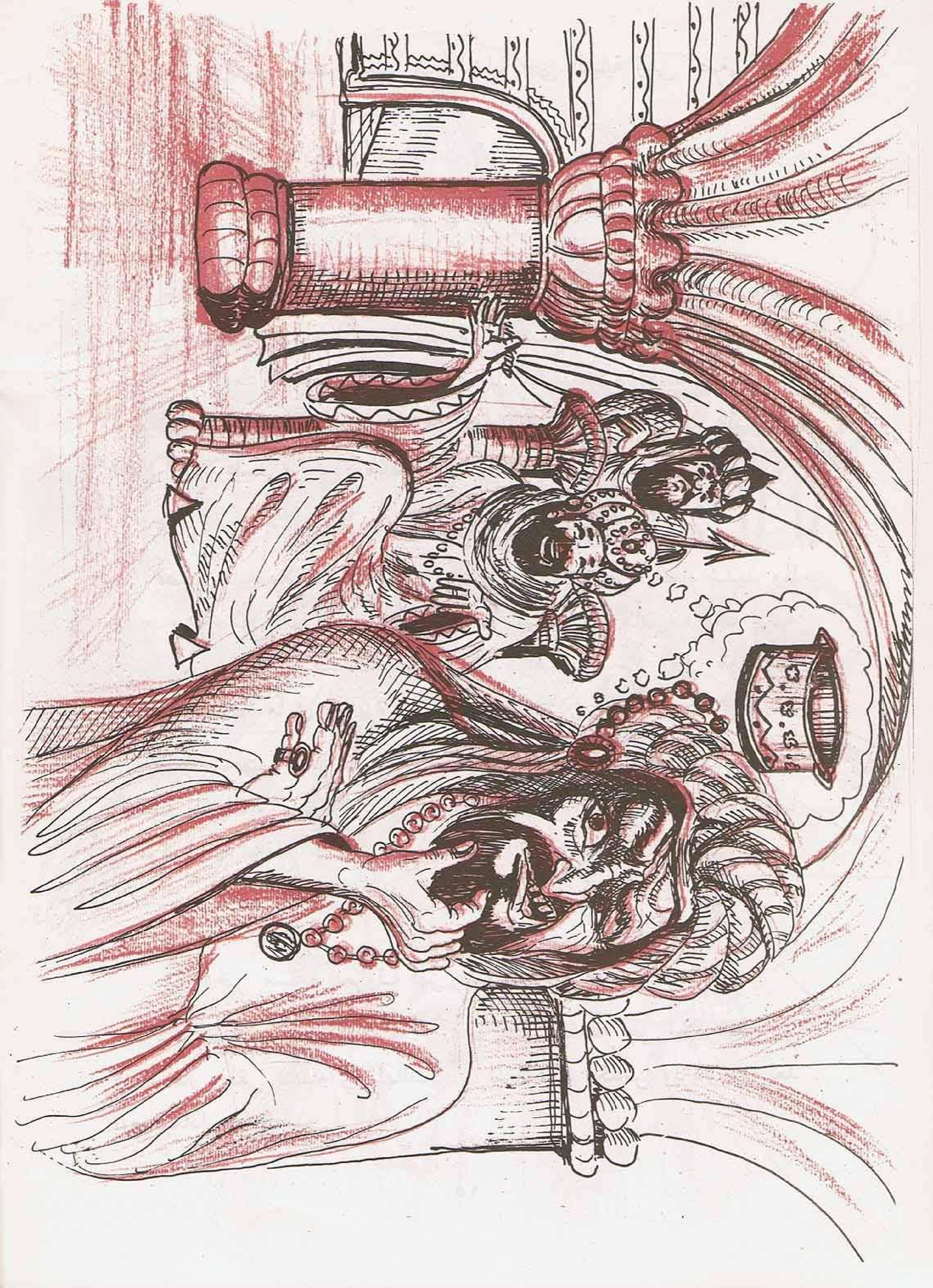
قصى عليه معروف القصة من بدايتها وهو يصغي بانتباه شديد ولما خرج من عنده كان قد أضمر في نفسه أمراً. إن كان معروف بهدية حقيرة لا تزيد عن طنجرة ثمنها أربعة دراهم قد عاد بكل هذا إذن فسيعود هو بكل ما في الجزيرة من ذهب، وجواهر..

وأمر بتجهيز هدية لا تليق إلا بالملوك فمن ثياب مطعمة بالذهب والفضة للملك وزوجاته إلى كل ما غلا ثمنه من البضائع النفيسة وشحنها في مركب كبير وأقلع بها وهو فرح سعيد.

* * *

بلغ الخبر مسامع معروف فهز رأسه مستغرباً وقال:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله... ما الذي ينقصه حتى يغامر بالرحيل في البحار ويلقي بنفسه في المهالك... لديه المال مكدس ويزيد يوماً بعد يوم فلماذا هذا الطمع..



أجابته فردوس لائمة عليه تصرفه:

ـ لو لم تخبره بقصتك ما ذهب إلى هناك...

إلتفت إليها باسماً وقال:

ـ وهل أنا نادم على إخباره يا فردوس؟ لو سألني أي عابر سبيل عن الطريق إلى هناك لدللته عليه.. أحبي لغيرك ما تحبيه لنفسك ولكل مجتهد نصيب..

قالت بإعجاب:

ـ يا لك من أصيل طيب القلب ولكني متأكدة لو أن شقيقك كان في مكانك ما أخبرك ولا أخبر غيرك بسره ولأبقاه سراً حتى يذهب إلى هناك ويغترف من الخيرات وحده...

ضحك معروف وقال:

ـ الناس على إختلاف أجناسهم ومللهم يدعون الله الرازق ويطلبون فهل يستجيب سبحانه إلا لمن يشاء؟... الدعاء كثير يا فردوس ولكن المهم هو القبول...

وأقنعها بحديثه الذي يدخل على صفاء نفسه وروحه واعتماده على خالقه...

* * *

راحت السفينة تشق طريقها في البحر بيسر وسهولة فقد طابت الريح وسكن البحر ولم تتعرض في طريقها لأي متاعب...

كان متلوف على ظهرها يجلس كلما أقبل الليل يحصي ما سيجنيه من مال طائل إذا ما قيست قيمة الهدايا التي سيتلقاها بما حصل عليه معروف... إن كان للطنجرة التافهة كل هذا التأثير على هذا الملك فكيف سيكون تأثير هداياه العظيمة التي كدسها في مركب كبير كهذا..

وأخيراً لاح الشاطىء ورست المركب على شاطئها وأرسل متلوف بعض أتباعه ليبلغوا الملك بوصوله . . .

وحضر الملك بين جنوده في جمع غفير إلى الشاطىء واستقبل متلوف بترحاب كبير فقال له متلوف:

ـ أيها الملك العظيم. . . لقد جئتك بهدايا تليق بمكانتك السامية فهيا وأمر رجالك بحملها. . .

وبدأ في إفراغ حمولة المركب عارضاً على الملك ومن معه السلع سلعة بعد أخرى والملك يصفق إعجاباً ويهب من مكانه ليقبل متلوف بفرح حتى أفرغ حمولة السفينة.

قال الملك وهو يضمه إلى صدره:

ـ أنت ضيفي وكل من معك. .

وأدرك متلوف أن خيرات الجزيرة كلها ستتكدس في مركبه قبل الرحيل وندم لأنه لم يحضر مركباً أكبر لتتسع للمزيد. . .

وخصص له الملك كوخاً فاخراً وأقام على خدمته جميع أبنائه وبناته وأقام له حفل عظيم ومتلوف يكاد يطير فرحاً لهذا الاحتفاء العظيم وأدرك أنه سيطر على الملك سيطرة تامة وعشم النفس بالخير العميم. . .

كان بجشعه يتأمل كل ما حوله ويتمنى لو حمل كل ما يراه إلى سفينته. . . كل شيء من حوله مصنوع من خالص الذهب والجواهر الغالية رأى منها الشيء الكثير في أيدي الأطفال تلعب بها وكأنها قطع من زجاج لا قيمة لها.

ومرت أيام الضيافة وجاءت الليلة الأخيرة وكان الملك قد أقام لمتلوف حفل كبير عظيم يليق بمكانته. . .

وبعد أن انتهى الحفل وتهيأ متلوف للرحيل قال الملك:

ـ الآن جاء دورنا لنهديك أثمن ما عندنا ولذلك أمرنا بالانعام عليك بتاج الجزيرة.

صرخ متلوف:

ـ الطنجرة؟؟.

حاول أن يعترض وهو يدري عادات الجزيرة وإن رفضه هدية الملك معناه الموت المحتم فلما فهم ذلك انسحب برجاله إلى المركب طالباً النجاة برأسه وهو يكاد يموت من شدة القهر وقد زاد همه أن الملك أرغمه على وضع الطنجرة على رأسه. . .

ما كادت السفينة تقلع وتبتعد عن الشاطىء حتى خلع متلوف الطنجرة عن رأسه وطوّح بها بجنون إلى البحر.

صرخ الملك الذي وقف على الشاطىء بذعر وهتف بذهول:

ـ ما بال ضيفنا العظيم. . . لقد ألقى بتاج الجزيرة إلى البحر. . . لا شك أنه أصيب بالجنون فجأة. . .

ولما نظر إلى السفينة تأكد أنه لم يخطىء فقد كان متلوف يلطم خديه وينتف شعر لحيته وهو يصب عليه وعلى الجزيرة وتاجها اللعنات. . .

تمت

* * *

الرسوم والإخراج: عبد الرحمن القاروط



صدر من أساطير وحكايات

- مالك الحزين والبلبل المسكين
- زارع الشر يحصده
- الراعي العجوز والملكة نفوس
- الأصيل والخسيس
- معروف وشقيقه متلوف
- مرآة الساحرة
- تاجر الكلام وابنة الإمام
- بئر الأماني
- العفريت الأعمى
- نصيحة الديك
- بدور والكلب الأعرج
- غندور والطائر المسحور
- قاطش وباطش وظاطش
- العفريت باطش والسلطان قادش
- الشحاذ والعفريت ظاطش
- زهران والمارد الغضبان
- ياليل ياعين
- ملك الجان والعراف
- وهمان الجن صديق الانسان
- العصفور الأزرق واليتيم

تصدر عن دار القلم - بيروت - لبنان - ص. ب: ٣٨٧٤ - تلكس: ٤٢٢٨٩ - برقياً: قلمطاب - هاتف: ٢٧٢٠٢٠

الثمن: ٦ ليرات لبنانية أو ما يعادلها